مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 18 عدد: 01 أوت 2022
العنوان: مراكز الحراسة بساحل مدينة تلمسان... ص.ص 639- 661.

مراكز الحراسة بساحل مدينة تلمسان
دراسة أثرية لبعض النماذج

بن عامر بكارة[1] ، محمد بن حمو[2]
1- طالب دكتوراه (ل م د LMD) قسم علم الآثار كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.
bekkam76@yahoo.fr
2- أستاذ التعليم العالي بقسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.
benhammoumohamed10@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2020/11/02؛ تاريخ القبول:2021/01/16

Childcare centers on the coast of the city of Tlemcen
Archaeological study of certain models

BEKKARA Benameur BENHAMMOU Mohamed

Abstract:
This article deals with the study of guard centers in Tlemcen in Algeria during the intermediate period and to study some of them, all located high on the tops of mountains or plateaus overlooking the sea, and we have made an archaeological study for each fort Wardanieh and Honain. As for the tours, we studied the M'khaled tower and the Sidi brahim tower and two towers in Sidi Youshaa, The forts were larger than the independently built towers. It seems that the latter covered the shortage of forts spaced apart from each other, and as all the centers were built high on the head of the sea, their function was to deliver the news to the forts near them, and the method of communication of the news of the approach of the enemy was to light a fire at night or with smoke during the day.

Keywords: guard posts - bonds - forts - guards - towers – Tlemcen

الملخص:

تتطرق هذه الدراسة إلى محاولة إحصاء مراكز الحراسة الساحلية بمدينة تلمسان بالجزائر خلال الفترة الوسيطة ودراسة بعض منها والتي كانت كلها في أماكن مرتفعة على رؤوس الجبال أو الهضاب المطلة على البحر، ولقد قمنا بدراسة أثرية لكل من حصن الوردانية وحصن هنين، وأما الأبراج فدرسنا كل من برج مخلد وبرج سيدي براهيم وبرجين بسيدي يوشع، ولقد كانت الحصون أكبر حجما من الأبراج التي كانت تُبنى مستقلة؛ والظاهر أن هذه الأخيرة كانت تُغطِي النُقص الحاصل من تباعد الحصون بعضها على بعض، ولما كانت كل المراكز تُبنى في أماكن مرتفعة على رؤوس بحرية، فقد كانت وظيفتها إيصال الخبر للحصون القريبة منها، وكانت طريقة إيصال الخبر عن اقتراب العدو تتم بواسطة إشعال النار ليلا أو بالدخان نهارا.

الكلمات المفتاحية: مراكز حراسة-أربطة-حصون- محارس-أبراج- تلمسان.

مقدمة:

كان إنشاء مراكز الحراسة بسواحل المدن الإسلامية المغربية بصفة عامة وساحل مدينة تلمسان بشكل خاص ضرورة اقتضتها الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدول الإسلامية أنذاك؛ وذلك بسبب التهديدات المتتالية للإسبان والبرتغاليين ومحاولة الاستيلاء على السواحل المغربية، لذلك عمد حكام المغرب الإسلامي وحكام مدينة تلمسان إلى بناء مراكز للحراسة تكون عينا لهم على البحر في حالة ما إذا قصدهم العدو، وعلى هذا فإننا نريد في هذا المقال دراسة بعض المراكز التي كانت موجودة بساحل تلمسان، وسنستهل هذا العمل بالتعريف بمدينة تلمسان باختصار، ثم نركز على بعض النماذج وهي كل من حصن الوردانية وحصن هنين وأربعة أبراج المستقلة البناء وهي كل من برج مخلد وبرج هنين وبرجي سيدي يوشع.

- التعريف بمدينة تلمسان:

تلمسان مدينة بالمغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، تبعد عن البحر بحوالي 60كلم، وموقعها بسفح جبل، ولها سور حصين متقن الوثاقة،

ونظمت ساحاتها وأزقتها على نسق جميل واتُّخذت قاعدة المغرب الأوسط أيام حكم الدولة الزيانية(البكري،1857**:** 76؛ الإدريسي، 1422: ج1**:** ص248؛ الزهري، دت: 113؛ مارمول، 1408: ج2: 298)، وتشمل مدينة تلمسان على مجموعة من المراكز العمرانية المتكاملة التي شكلت المدينة بالمفهوم الحالي، المركز الأول مدينة أغادير وهي أصل المدينة واشتهرت أيام الأدارسة خلال القرن الثاني للهجرة، ثم تَكْزَارْتْ (أي المعسكر) وهي المركز الثاني وظهرت أيام المرابطين خلال القرن الخامس الهجري، ثم المنصورة وهي المركز الثالث وبُنيت أيام المرينيين خلال القرن الثامن هجري، ويُلحق بالمنصورة كل من مجمع سيدي بومدين وسيدي الحلوي المبْنِيين في فترة الحكم المريني، وبهذا فقد اشتملت تلمسان على مقومات المدن في ذلك الوقت من وجود العمائر الدينية والمدنية والعسكرية والمنشآت المائية وغير ذلك(فيلالي، 2002: ج1: 87-156؛ الطمار، 1984: 25، 41، 91، 131، 140؛ لعرج، 1999: ج1: 91-140، 160-188، 241-293، 316-340، 381-405).

ـ مراكز الحراسة بمنطقة تلمسان:

بخصوص مراكز الحراسة في ساحل مدينة تلمسان فقد كانت على نوعين؛ النوع الأول عبارة عن حصون مختلفة الأحجام، والنوع الثاني عبارة عن أبراج مستقلة، وبالاعتماد على المصادر الجغرافية أحصينا من النوع الأول عدة منشآت وهي: حصن مدينة **أرشقول**(ابن حوقل، 1992: 79؛البكري، 77-78؛ الإدريسي، ج2: 534-535؛ الحميري، 26-27؛ الوزان، ج2: 16؛ مارمول، ج2: 297-298)، وتوجد الآن مدينة تابعة لتلمسان على البحر تسمى رشقون نظن أنها أخذت اسمها من حصن أرشقول الذي كان بنواحيها، وشرقي أرشقول حصن مدينة **اسلن**(ابن حوقل، 79؛ البكري، 79؛ الإدريسي، ج2: 535؛ الحميري، 58)، ومنه إلى حصن **بني وزار**(الإدريسي، ج2: 535)، ثم إلى حصن **تانكرمت**(البكري، 79؛ الحميري، 128)، وعلى مرحلتين من اسلن حصن مدينة **فكّان**(ابن حوقل، 88؛ البكري، 79؛ الإدريسي، ج2: 534-535؛ الحميري، 440؛ بوعزيز، 2009: ج1:

بن عامر بكارة
bekkam76@yahoo.fr

99)، وبين هذا الحصن وحصن **مرنيسة البير** ثلاثة أميال(البكري، 79)، ومنه إلى حصن **ابن زينَى** وسماه الحميري حصن زيان، وبالقرب منه حصن **الفروس أو** العروس(البكري، 79؛ الحميري، 284)، ومنه إلى حصن **الوردانية**(البكري، 80، الحميري، 284) ولا يزال باقيا إلى الآن وسنتطرق إليه فيما بعد، ومن الوردانية إلى حصن **هنين** أربعة أميال ولا يزال موجودا وسندرسه فيما بعد، إلى **وادي ماسين** وهو نهر وعليه حصنان ورباط حسن مقصود، إلى حصن **تاونت** وهو حصن منيع(البكري، 80) ولا يزال موجودا وقد دُرس من طرف الأستاذة عثماني(عثماني، 2016: 209)، وعلى هذا الساحل أيضا حصن **أبي جنون**، وأيضا حصن **كاربيوا**(البكري، 80) ثم إلى **تابحريت** وهي مدينة صغيرة مشهورة عبارة عن حصن حصين(البكري، 87؛ الإدريسي، ج2: 534؛ الحميري، 127؛ الوزان، ج2: 14-15؛ مارمول، ج2: 296).

هذه المراكز عبارة عن حصون قديمة اختلف تاريخ نشأتها، فمنها ما بُني خلال القرن الثالث الهجري كحصن أرشقول(البكري، 78)، ومنها ما بُني في القرن الذي يليه كحصن فكّان(البكري، 79)، والتي لم نعرف تاريخ إنشائها فأقل ما يقال عنها أنها كانت موجودة في بداية القرن الخامس الهجري.

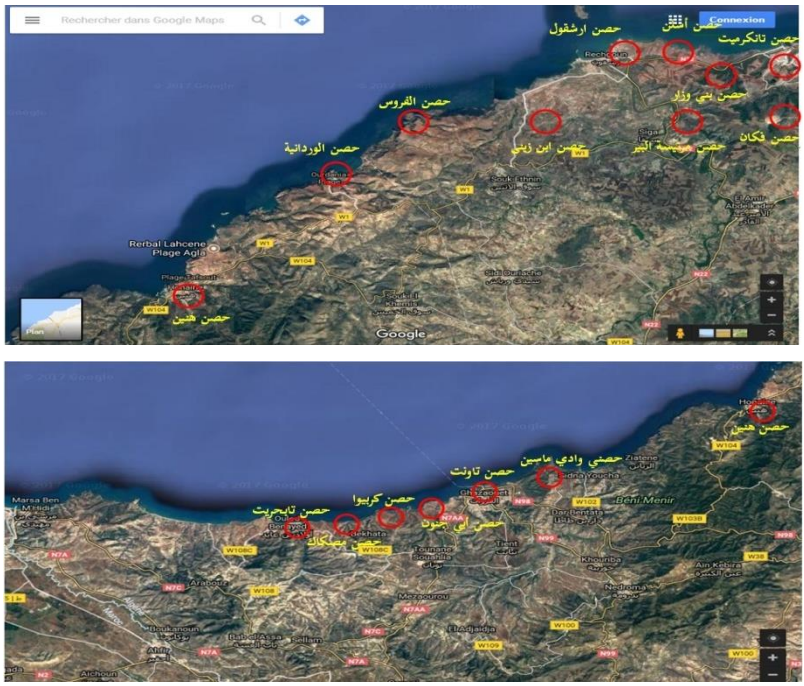

صورتان رقم1-2: بالقمر الاصطناعي تبينان: مواقع، ومواقع افتراضية للحصون بضواحي تلمسان.

أما النوع الثاني فهو عبارة عن مباني مستقلة تتمثل في أبراج مستقلة وظيفتها الحراسة أيضا، وقد تكون مبنية خصيصا لإيصال المعلومات لحصون النوع الأول، ولم تتطرق المصادر التي بين يدي إلى وصفها وتحديد مكانها، ويوجد منها أربعة؛ الأول بمنطقة تسمى مْخَلَّدْ بين حصن الوردانية وحصن هنين والثاني حصن سيدي براهيم بهنين والثالث والرابع بالقرب من سيدي يوشع، وهذه النماذج لا تزال موجودة وسندرسها فيما بعد.

- النماذج المدروسة:

اخترنا هنا للدراسة كل من حصن الوردانية وحصن هنين وأربعة أبرج للحراسة مستقلة، وسنبدأ بكل من الحصنين ثم ننتقل إلى الأبراج.

- حصن الوردانية:

ذكر ياقوت الحموي أن وردان اسم رجل وهذه القرية منسوبة إليه(الحموي، ج8: 414)، غير أنه لم يُبيّن مكانها وما إذا كانت الحصن الذي نبحث عنه أم غيره، والمكان الذي نحن بصدد دراسته هو حصن الوردانية بغرب المغرب الأوسط(الجزائر حاليا) وقد ذكرنا أعلاه أن الوردانية حصن يقع بين حصن **الفروس** شرقا وحصن **هنين** غربا وهو على قمة جبل على ساحل البحر(البكري، 79-80)، أما الإدريسي فيذكر مرسى الوردانية فقط(الإدريسي، ج2: 534)، ولعل الحصن في عهده أصبح مهجورا، وقال الحميري حصن الوردانية بالمغرب بينه وبين حصن **القرويين** ميلان، وهو على مرسى جيد مقصود وهو أكثر الحصون بساتين وضروب الثمر، تسكنه كومية وبين هذا الحصن ومدينة ندرومة ثلاثة عشر ميلا(الحميري، 609)، والظاهر أن الحميري خُلط عيه الأمر في نقطتين؛ الأولى في تسمية حصن القرويين والذي يبعد عن الوردانية بميلين وهذا ينطبق على حصن الفروس؛ إلاّ أن يكون قد تحول اسم الفروس إلى القرويين، النقطة الثانية وهي الوصف الذي ذكره بعد ذلك أنه مرسى مقصود إلى آخر ما ذكر؛ فهذا الكلام ذكره البكري عن حصن هنين.

صورة رقم3: بالقمر الاصطناعي تبين: موقع حصن الوردانية.

من خلال المعاينة الميدانية فإن هذا الحصن يقع فعلا في قمة جبل بالمكان المسمى حاليا بنفس الاسم الوردانية، والآثار المتبقية هناك تتمثل في جزء من السور وبقايا صهريجين وآثار برجي المدخل.

بخصوص بقايا برجي المدخل فقد بقيت أجزاء منهما في الجهة الجنوبية والتي نرجح أنها المدخل الرئيسي لهذا الحصن، البرج الذي على اليمين طوله حوالي 4م أما عرضه فحوالي 1.70م وهو مهدم، أما البرج الذي على اليسار فطوله حوالي 4.50م أما عرضه فحوالي 1.80م.

صورة رقم4: تبين مدخل حصن الوردانية.

أما عن مقاسات هذا الحصن فإن طوله حوالي ثلاثمائة 300 متر وعرضه يصل إلى حوالي مائة 100 متر، ومكانه في أعلى الجبل يوحي بأنه كان خاصا بحامية عسكرية كما قد يكون مكانا للمرابطين، ويمكن أن يكون هذا الحصن يشرف على الأبراج القائمة منفردة كبرج مخلّد، فيرسل إليها من يقوم بالحراسة من هذا الحصن.

أما بخصوص بقايا الأسوار في هذا الحصن فنجدها تظهر في مكانين الأول في الجهة الشمالية أي في الواجهة البحرية، مقاسات سور هذه الجهة حوالي 17.50م ويستدير إلى الجهة الغربية بطول حوالي 4م وسمكه حوالي 70م وهو مبني بالطابية وهي هنا عبارة عن خليط من التراب الطيني مع حجارة صغيرة، يظهر أيضا داخل السور شكل صهريج ملاصق له تماما.

صورة رقم5: تبين بقايا أسوار الواجهة البحرية لحصن الوردانية.

وتجدر الإشارة إلى أن الجهة المقابلة للبحر بها سورين ملتصقين مع بعضهما البعض سمكهما بين 60 و70سم ويصل سمك السور الخارجي في الوسط إلى حوالي 1.35م ومجمل ارتفاع السور 2.70م، ومن خلال المعاينة الميدانية نرجح بأن السور الداخلي كان سورا لصهريج تجمع فيه مياه الأمطار؛ أما السور الخارجي فهو يشكل سور الحصن، ورجحنا ذلك بناءً على الشكل العام والعمق المتشكل داخل السور، حيث يظهر بشكل صهريج عرضه حوالي 4م وعمقه 2.70م.

صورة رقم6: تبين السورين الملتصقين بالواجهة البحرية لحصن الوردانية.

ويوجد في الجهة الغربية من هذا الحصن آثار لسور آخر يظهر من بعيد أنه كان يشغل كل تلك الجهة، ومن خلال أساساته يظهر أنه بُني

بن عامر بكارة
bekkam76@yahoo.fr

أيضا بالطابية، وقد أُلحق به سور آخر رجحنا أنه حديث مقارنة مع الأول بسبب مواد البناء والتي قوامها حجارة غير منتظمة مع ملاط، وجاء السور غير منتظم طوله حوالي 5.70م أما عرضه فيصل إلى حوالي 80سم.

صورة رقم7: تبين بقايا أسوار الواجهة الغربية لحصن الوردانية.

في الجهة الشرقية من الحصن تظهر آثار صهريج طوله حوالي 13م أما عرضه فيصل إلى حوالي 3.80م وسمك جداره حوالي 40سم أما عمقه فيصل إلى حوالي 1.30م، ويوجد داخله نباتات وحشائش أكثرها نبات الضرو مما يدل على أنه كان أكثر عمقا، ويبعد هذا الصهريج عن الأول بحوالي 100م.

صورة رقم8: تبين: بقايا صهريج في الجهة الشرقية لحصن الوردانية.

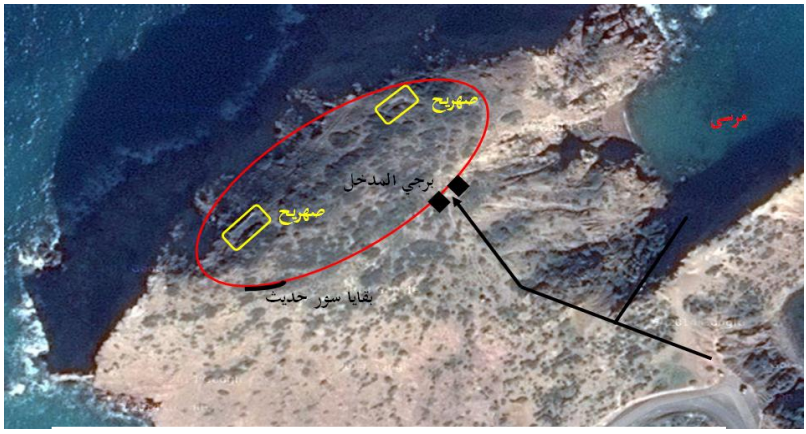

صورة رقم9: بالقمر الاصطناعي تبين: آثار حصن الوردانية.

- حصن هُنَيْنْ:

يوجد بالمنطقة المسماة هنين موقعين؛ الأول عبارة عن حصن فوق هضبة وهو المقصود بالدراسة هنا، والثاني عبارة عن مدينة في سفح الجبل، وهنين مدينة ساحلية تابعة لمدينة تلمسان بالغرب الجزائري، وتقع في الجهة الشمالية الغربية منها على طريق بني صاف، وتبعد عنها بمرحلتين أي بحوالي 75كلم وعلى خط مستقيم بحوالي 45كلم(الحموي، 484؛ المدني، 2007: 217)، وتبعد بحوالي 40كلم عن حدود المغرب(Marçais, 1957: 162)، وهي تقابل مدينة المرية الأندلسية وفي مستواها(مارمول، 296)، يحمي هنين رأس بحري من جهة البحر؛ ومن خلفها نجد غابات كثيرة، ويشرف عليها جبل تاجرا الذي تبلغ قمته 861م(Guide Touristique, 1994: 110)، يصفها البكري خلال القرن الخامس الهجري بأنها حصن، وتبعد عن حصن الوردانية بأربعة أميال وبينها وبين مدينة ندرومة الجبل المعروف بتاجرة، والمسافة بين الحصن (أي هنين) والمدينة(أي ندرومة) ثلاثة عشر ميلا(البكري، 80)، أما الإدريسي فيقول بأنها مدينة حسنة صغيرة في نحو البحر وهي عامرة عليها سور متقن وأسواق، وخارجها عمارات، ومنها إلى مرسى الوردانية بحرا ستة أميال، ثم إلى جزيرة أرشقول(الإدريسي، 534)، وهو هنا ذكر فقط المدينة ولم

يذكر الحصن الموجود هناك، وهذا يدل على أن حصن هنين الموجود بأعلى الهضبة بُني في وقت سابق عن المدينة.

ولما ذكر الوزان مدينة هنين ذكر أن سكانها هجروها لما سمعوا باحتلال وهران، وأصبح أمير تلمسان يرسل إليها أميرا مع المشاة يقيم في القلعة لإخباره بوصول السفن التجارية فقط(الوزان، ج2: 15).

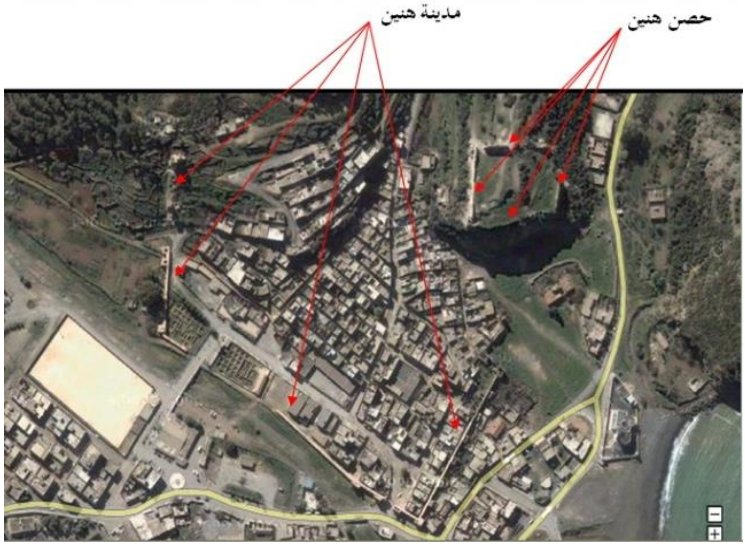

صورة رقم10: بالقمر الاصطناعي تبين: موقع حصن ومدينة أما هنين

عن تاريخها القديم فلا نعلم على وجه التحديد متى بُنيت، فلعلها هي Gypsaria التي ذكرها بطليموس، أو Coecilli التي ذكرها أنطونين Antonin(Charton, 1875: 342)، أما في الفترة الإسلامية فيقول ابن خلدون أنها كانت تابعة لتلمسان قاعدة المغرب الأوسط(ابن خلدون، 2001: ج1: 76)، في حين أن صاحب كتاب الجعرافيه يجعلها تابعة للمغرب الأقصى(الزهري، 113)، وهذا مقبول منه لأنه تُوفي في القرن السادس الهجري أي في العصر الموحدي، وفعلا كانت آنذاك بل وقبل ذلك في العهد المرابطي تابعة لهذا القطر الشقيق، وذكرها ابن خلدون بثلاثة أسماء هَنين(ابن خلدون، ج1: 76، ج6: 166) وهَني(ابن خلدون، ج7: 121) وهُنَيْنْ(ابن خلدون، ج7: 156، 338،

398) وهو الاسم الذي لا تزال تُعرف به المدينة إلى الآن، وتسمى أيضا بأهناي وأحناي(أبو راس، 200: 103؛ المزاري، 1990، 143)، ذكر البكري بأنها مسكونة بقبيلة كومية(البكري، 80)، ويوضح ابن خلدون بأن موطنهم كان بالمغرب الأوسط من ناحية أرشكول(يعني أرشقول) وتلمسان(ابن خلدون، ج6: 166)، ويضيف أبو راس بأن جبلهم وسط جبال أطرارة مطل على هنين(أبو راس، 103).

والآثار الباقية تدل على مركزين عمرانيين بالمنطقة كما ذكرنا أعلاه، المركز الأول عبارة عن مدينة تتموضع في سفح جبل وتشرف على الميناء(Marçais, 166-167)، والمركز الثاني عبارة عن حصن يقع في مكان مرتفع من المدينة وهذا هو الحصن المذكور في المصادر الجغرافية.

ونحن هنا سندرس الحصن فقط، إذن فبخصوص هذا الحصن فإنه يقع في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة الحالية، وقد بُني في مكان مرتفع على هضبة، يحيط به جرف عالي من جهاته الثلاثة الشمالية والشرقية والغربية أما الجهة الجنوبية فهي تتصل بالجبل، ورغم تحصينه الطبيعي هذا فقد عمد المنشئون إلى بناء سور يحيط به وجعلوا فيه أبراجا لا يزال بعضها قائم إلى الآن، كما بقيت معظم الأسوار المبنية بالطابية ماثلة إلى الآن، وقد تفاوتت في ارتفاعها لِما أصابها من تهدم مع مرور السنين وبسبب العوامل الطبيعية، وأما عن مقاساته فإن قياس جداره الشمالي حوالي 100م، وبخصوص الجدار الشرقي والجنوبي فإن قياسهما حوالي 80م، في حين جاء قياس الجدار الغربي حوالي 65م.

صورة رقم11: بالقمر الاصطناعي تبين: موقع حصن هنين.

بخصوص الواجهة البحرية وهي الواجهة الشمالية فهي تشرف على البحر من على جرفٍ عالٍ لا يستطيع أي شخص الوصول إلى الحصن من هذه الجهة، ويظهر على طول هذا السور بقايا أبراج مهدمة باستثناء برج في وسط السور وبرج في الركن الشمالي الشرقي وهو يبرز عن السور؛ وقد فتح به مدخل نرجح أنه كان يتصل بالمدينة السفلية، وبرج آخر في الركن الشمالي الغربي ويعتبر الآن المدخل الرئيسي لهذا الحصن من طرف الزوار رغم أننا نرجح بأنه لم يكن كذلك بل كان مثل البرج السابق.

بخصوص السور الشرقي فهو أكثر ارتفاعا من السور السابق وهو يشرف على المدينة السفلية ولا يوجد به أبراج باستثناء البرج السابق ذكره (الشمالي الشرقي) وبرج آخر في الركن الجنوبي الشرقي وهو بدوره يبرز عن سمت السور، أما السور الغربي فمعظمه مهدم باستثناء البرج السابق ذِكْره -أي البرج الشمالي الغربي- والذي يعتبر المدخل الرئيسي للحصن في الوقت الحالي، وأما السور الجنوبي وهو الذي يتصل بالجبل فقد تهدم جزء كبير منه، ولا توجد به أبراج، ونرجح بأنه كان به المدخل الرئيسي لهذا الحصن.

لا توجد آثار لمعالم داخل هذا الحصن والتي يمكن من خلالها معرفة تخطيطه المعماري وذلك نظرا لتهدمه كليا، بل حتى الأرضية أصبحت كتلة واحدة لا يمكن أن نميز بها آثار واضحة باستثناء شقف فخارية موزعة هنا وهناك.

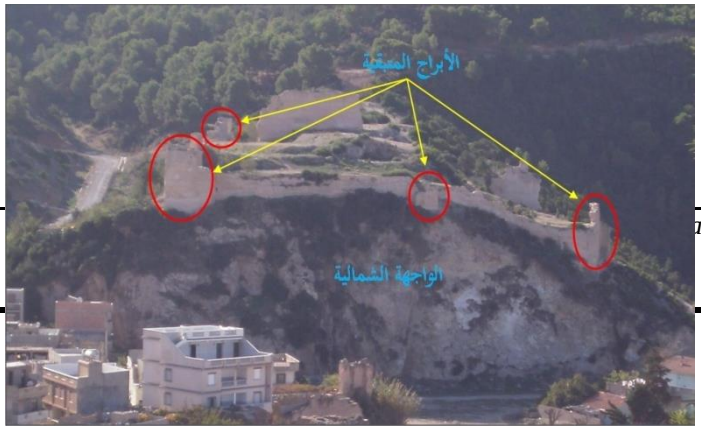

الأبراج المستقلة:

لم أجد في المصادر الجغرافية ما يشير إلى هذه الأبراج ولعل الراجح أنها هي التي أشار إليها ابن مرزوق في كلامه على منشآت أبي الحسن المريني في بداية القرن الثامن الهجري، فقد ذكر بأن أبا الحسن علي المريني رضي الله عنه أنشأ من المحارس والمناظر ما لم يعهد مثله في عصر من الأعصار، وحسبك أن مدينة آسفي[المغربية] وهي آخر المعمورة إلى بلد الجزائر جزائر بني مزغنان[الجزائر العاصمة حاليا] آخر وسطى الغرب وأول بلاد إفريقية محارس ومناظر...وفي كل محرس منها رجال مرتبون، نظار وطلاّع يكشفون البحر(ابن مرزوق، 398)، وعلى هذا يحمل كلام ابن مرزوق على

صورة رقم12: تبين آثار حصن هنين.

أن أبا الحسن بنى هذه الأبراج أو المحارس المستقلة، أما تلك الحصون الساحلية فقد كانت موجودة من قبل، إلا أن يكون أبو الحسن المريني قد رمم بعضا منها فنَسَب إليه ابن مرزوق أنه بناها، وقد ذكر الزركشي مثل هذا من قبل لما تكلم على أن أبا فارس عبد العزيز بنى حصونا تونس وفي الواقع أنه جددها(الزركشي، 1966: 116).

بخصوص هذه الأبراج فقد ذكرنا أعلاه بأن هذا النوع جُعل أيضا للحراسة؛ وقد يكون سبب بنائها منفردة أنها تغطي النقص الحاصل بين تلك الأماكن التي تكون الحراسة فيها غير مكتملة بسبب العوائق الطبيعية، وقد يُؤكد هذا موضع برجي هنين وسيدي يوشع بشكل خاص؛ إذ أن كُلاً من مدينة هنين وقرية سيدي يوشع تقعان في موقع لا يسمح لهما بمراقبة كاملة للبحر، لذلك عمدوا إلى الاستعانة بهذه الأبراج لاستكمال هذا النقص، ولنأتِ على دراسة الأبراج الموجودة بساحل تلمسان وهي كل من برج مُخلّد وبرج هنين وبرجي سيدي يوشع.

فبرج مُخَلَّدْ لا نعرف عن تاريخه أدنى شيء، وقد يكون استمد اسمه

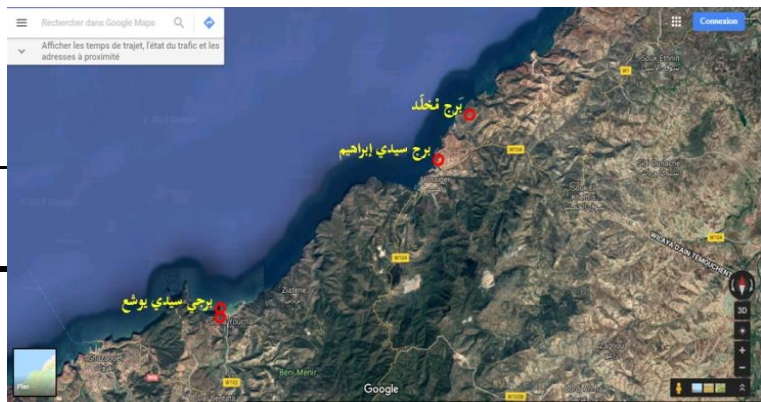

من اسم شخص كان يرابط فيه، وقد عُرف اسم مَخْلَد في المغرب الإسلامي كمخلد بن كيداد الملقب بصاحب الحمار الذي ثار على الشيعة العبيديين وكاد يقضي عليهم، قياس أضلاع هذا البرج الأربعة حوالي 5.60م وارتفاعه حوالي 7.50م وسمك الجدار 90سم، وهو مبني بالطابية، وتظهر الجهة السفلية من هذا البرج أنها مصمتة إلى ارتفاع حوالي 2م أي أنها مملوءة بقدر مترين، ثم يليه الجزء العلوي وقد تهدم الكثير منه بحيث لا نستطيع أن نميز التخطيط الفعلي له.

صورة رقم13: بالقمر الاصطناعي تبين: مواقع الأبراج الأربعة بساحل تلمسان

صورة رقم14، الشكل رقم1: تبين برج مخلد.

أما **برج هنين** فإنه يقابل حصن هنين في الجهة الشمالية الشرقية، وقياس ضلع جدرانه حوالي 5.50م أما ارتفاعه فحوالي 8م، ولا يمكن الدخول إليه نظرا لصعوبة ارتقائه، وأما عن مادة بنائه فهي من الطابية والمتمثلة هنا في خليط من التراب والحجارة والقرميد، وقد بُني أساسه على الحجارة، ويظهر من أعلاه أنه مصمت إلى ارتفاع معتبر مما يجعله أكثر قوة ومتانة بحيث لا يمكن اقتحامه؛ وهو بهذا يشبه برج مُخلد السابق ذكره، ولا يوجد وسيلة للصعود إلى السطح فنرجح أن ذلك كان يتم بواسطة حبل أو ربما سلم متحرك، وقد أشارت إلى هذه النقطة الأستاذة حميدي فذكرت أن أبواب الأربطة كانت تغلق

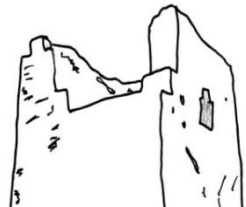

بالليل، ولا تفتح حتى طلوع الشمس وعند الضرورة يصعد الرجل القادم إلى الحصن بالحبال(حميدي، 136).

صورة رقم15، الشكل رقم2: تبين برج سيدي ابراهيم.

والبرجان مفتوحان على البحر بحيث يظهر أن اختيار موقعهما يشكل مكانا جيدا لحراسة السواحل من العدو المرتقب.

بخصوص **البرجين** المنسوبين إلى قرية **سيدي يوشع** فقد رجّحنا أن يكونا هما الحصنان اللّذان أشار إليهما البكري لما ذكر مدينة ندرومة والتي تبعد عن هذا الموقع بحوالي 10كلم، قال بأنها في طرف جبل تاجرة وبينها وبين البحر عشرة أميال، وساحلها وادي ماسين وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مأمون وعليه **حصنان ورباط** حسن مقصود(البكري، 80)، من خلال جولاتنا المتكررة للمنطقة فإن الموقع المرجح لأن يكون المقصود من قول البكري هو القرية المعروفة الآن بسيدي يوشع، فقد كان لها مرسى قديم بقيت آثاره في الجهة الشرقية من ساحل هذه القرية.

وأما الرباط المذكور فلعله يُقصد به المسجد القديم الموجود بهذه القرية، وبمؤخرة المسجد قبر يُذكر أنه قبر يوشع بن نون عليه السلام، وقد كانت بعض المساجد عبارة عن أربطة، فقد ذكر زبيس بأنه زار مسجد أبي محمد الجليل الحكيمي بقرية زنزور بليبيا؛ وهو مبني خارج الغابة من القرية، وبقربه قبر أبي محمد الجليل والمسجد على ساحل البحر، وكان قد انفرد به بنفسه وتخلى عن أبناء جنسه، وهذا المسجد من المحارس القديمة البناء المفرطة الحصانة، وإنما أضيف إلى هذا الشيخ لسكناه به وبنائه إلى جانبه(فكري، زبيس، 1949: 54، 63).

صورة رقم16: تبين: برجي سيدي يوشع.

وأما الحصنان فبعد جولات في ضواحي القرية وجدنا معلمين مبنيين يطلان على البحر فنرجح أنهما الحصنان اللذان ذكرهما البكري وهما عبارة عن مبنيين بسيطي التخطيط، يظهر أنهما استعملا للمراقبة؛ وهذا ما يؤكده موقعهما على رأس بارز في البحر في الجهة الغربية من القرية؛ رغم أن شكلهما البسيط لا علاقة له بالحصن بالمفهوم الأثري.

المبنى الأول يوجد في طرف الرأس البحري البارز في البحر وهو ينفتح على كل الواجهة البحرية، وهو مستطيل الشكل مساحته حوالي 13.74م وسمك جداره حوالي 45سم، وقد تهدم كثير من أجزائه، نلج إلى داخله من مدخل يقع في الجهة الشرقية نرتقي إليه عبر خمس درجات بعرض متر واحد وبطول 1.5م، أما جدرانه فقد تهدم الجدار الجنوبي كليا، في حين تهدم نصف الجدار الغربي وبقي بارتفاع حوالي1م، وفيما يتعلق بالجدارين الشمالي والشرقي فلا يزالان يحافظان على شكلهما، ارتفاع الجدار الشرقي 2.20م أما الجدار الشمالي فارتفاعه 1.75م وهذا التفاوت في الارتفاع بسبب الأرضية المنخفضة من الجهة الشرقية بحوالي 60سم، وبخصوص مادة البناء فقد استعملت مادة الحجارة المتوفرة في المنطقة مع ملاط يظهر أنه قد حُضِّر من نفس المكان.

صورة رقم17:
تبين: البرج الأول
بسيدي يوشع.

أما البرج الثاني فيتموضع في مكان مرتفع عن الأول ويبعد عنه بحوالي 90م في الجهة الجنوبية، ويستند إلى الجبل ويشرف على الجهة الشرقية من البحر، مساحته حوالي 4.10م وارتفاعه الحالي حوالي 1.80م والظاهر أنه كان مرتفعا أكثر من هذا، وسمك جداره يتراوح بين 45سم و55سم، يفتح مدخله كليا إلى الجهة الشرقية، ويوجد داخل هذا البرج مصطبة مبنية على طول الجدار الغربي وبارتفاع 40سم، قد تكون مخصصة لاستراحة الشخص المكلف بالمراقبة، ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن الجدارين الشمالي والجنوبي فتحت فيهما نافذتين متماثلتين ارتفاعهما حوالي 70سم وعرضهما حوالي 30سم، الراجح أنهما كانتا للمراقبة، وبخصوص مادة البناء فهي نفسها في البناء السابق فقد استعملوا الحجارة المتوفرة بالمكان ونفس الملاط.

صورة رقم18:
تبين البرج الثاني
بسيدي يوشع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذين المَعلمين مفرغين من أسفلهما عكس ما وجدناه في برجي مُخلّد وهُنين، والشيء الملاحظ

أيضا أنه قد تم ترميم المعلمين في وقت سابق باستعمال الإسمنت، وقد انفصل الملاط الحديث عن الجدران الداخلية والخارجية نظرا لعدم توافق الإسمنت مع المادة الأصلية.

في الحقيقة لا نستطيع تفسير وجود برجين في مكان واحد، وأهل المنطقة يقولون بأن المبنى الأول هو ضريح امرأة، وليس هناك شيء علمي ثابت نعتمد عليه في توثيق هذه المعلومة سوى هذه الرواية، ولا يُعقل أن تتجه امرأة إلى هذا المكان بمفردها وهو منعزل تماما عن القرية المذكورة من قبل، ورجحنا أنه عبارة عن مكان للحراسة بناءً على قول البكري بأنه يوجد بهذه المنطقة حصنان، ومن خلال جولاتنا المتكررة للمكان وبعد القيام بمسح شامل لم نعثر على هذه المباني المُشار إليها من طرف البكري غير هذين المعلمين.

وبما أن برج مخلّد قد تهدم الجزء العلوي منه وبرج هُنين لم نستطع الدخول إليه وبرجي سيدي يوشع أكثرهما مهدم؛ فإننا لا نستطيع معرفة المخطط الفعلي لهذه الأبراج، وفي هذا الصدد نرجح أن البرج ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ القسم السفلي وهو أكبر الأقسام ويكون مصمتا ليكون أكثر قوة بحيث لو هوجم البرج لا يمكن أن يصل العدو إلى أعلاه ولا يستطيع أن يخترق جدرانه وهذا كما وجدناه في برج مخلّد- ولعل الفراغ الموجود في برجي سيدي يوشع أنهما قريبين من الرباط الذي هو هنا المسجد؛ لذلك فقد جُعلا مفتوحين للحراسة نهارا فقط- القسم الثاني يعلو القسم الأول مباشرة ويشكل مكان إقامة الحراس أو المرابطين في البرج، أما القسم الأخير وهو العلوي فيخصص للمراقبة، ويمكن أن يُنتقل بين القسمين الثاني والثالث بسلّم، أما الوصول إلى أعلى الأبراج من الجهة الخارجية فإننا لاحظنا عدم وجود سلم، لذلك نُرجّح أن الصعود إلى البرج كان يتم بأحد الطريقتين إما بسلم متحرك يُنزل من أعلى ثم يعاد سحبه؛ أو بواسطة حبل يُدلى إلى أسفل ثم يسحب مرة أخرى.

خاتمـــــة:

من خلال هذه الدراسة لاحظنا بأنه قد تنوعت مراكز الحراسة بين الحصون والأبراج؛ واختلفت أحجامها، والظاهر أن الأبراج المبنية مستقلة كانت تغطي النقص الحاصل من تباعد الحصون بعضها على

بعض، كما كانت تبنى في أماكن مرتفعة على رؤوس بحرية، وبالتالي فقد كانت وظيفتها إيصال الخبر للحصون القريبة منها.

كما لاحظنا بأن المعماري المسلم طوّع مواد البناء الموجودة بالمنطقة والمتمثلة في الطابية والحجارة والملاط واستعملها دون الحاجة إلى جلبها من أماكن بعيدة.

وفيما يتعلق بتأريخ تلك المباني فإنه أقل ما يقال عنها أنها بُنيت خلال القرن الخامس الهجري من خلال ما ذكره البكري، وهذا لا يمنع من أن يكون بعضها قد بُني قبل تلك الفترة بقرن أو قرنين من الزمن؛ كما هو حال حصن أرشقول والذي كان موجودا خلال القرن الثالث الهجري.

وعلى هذا فإنه يظهر جليا بأن الجهة الغربية من الجزائر قد اهتمت اهتماما كبيرا بإقرار الأمن بالمنطقة، ولا أدلّ على ذلك من العدد الكبير لمراكز الحراسة والتي كانت مخصصة لمراقبة السواحل من الخطر البحري المتمثل في المحاولات المتكررة منذ القديم للاستيلاء على الأراضي المغربية من طرف الاسبان بشكل خاص، بالإضافة إلى أن تلمسان كانت مركزا مهما في المغرب وخاصة في الفترة الزيانية؛ إذ أصبحت عاصمة للمغرب الأوسط في بداية القرن 7هـ/13م، وفي الأخير نستطيع القول بأن المسلمين في تلك الفترة فقهوا واقعهم جيدا، وعلموا بأن الخطر الذي يهدد استقرارهم ووجودهم هو الخطر البحري من طرف أعدائهم، لذلك أولوا اهتمامهم لبناء تلك المراكز لتكون لهم سببا في المحافظة على أمنهم واستقرارهم، وما هذه الحصون والأبراج التي أحصيناها والتي درسناها إلا دليل على ذلك.

والمتصفح لهذا العمل يلاحظ بأننا قد قمنا بدراسة عدد قليل مما أثبتناه في البداية، وهذا بسبب حجم المقال الذي يجب التقيد به، وهو ما يفتح المجال واسعا أمام دراسات مماثلة لاستكمال العمل حول هذا الموضوع المهم.

مراجع البحث:

- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف، (1422هـ/2002م). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، د.ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- البكري أبو عبيد عبد الله، (1857م). **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** وهو جزء اقتُطف من كتاب **المسالك والممالك**، د.ط، القاهرة: نشره المستشرق الفرنسي دوسلان De SLANE بدار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، نشر تحت رعاية المارشال MARECHAL COMTE RANDON المحافظ العام للجزائر.
- بوعزيز يحي، (2009م). **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، د.ط، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، (1323هـ/1906م). **معجم البلدان**، عني بتصحيحه ووضعه وكتابة المستدرك عليه محمد أمين خانجي، ط1، مصر: مطبعة السعادة.
- حميدي مليكة،(2014م). **"الرباطات البحرية ودورها في الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي ما بين القرنين (4-1ه/7-10م)".** مجلة دراسات تراثية مجلة سنوية محكمة تعنى بنشر الدراسات والأبحاث في التاريخ والآثار والفنون، أعمال الملتقى الدولي-النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني يومي 27/26 نوفمبر 2014م، الجزء الثاني-عدد خاص، العدد 5، (75-101)، الجزائر: مطبعة الإتحاد.
- الحميري محمد بن عبد المنعم، (1984م). **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي**، حققه إحسان عباس، ط2 ، لبنان: مكتبة لبنان.
- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، (1992م). **صورة الأرض**، د.ط، لبنان: دار مكتبة الحياة بيروت.
- ابن خلدون عبد الرحمن، (1421هـ/2001م). **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، د.ط، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

- أبو راس محمد بن أحمد الناصر، (2005م). **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق محمد غانم، د.ط، وهران-الجزائر: مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافة.
- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، (1966م). **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، ط2، تونس: المكتبة العتيقة، الزيتونة.
- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (د.ت). **كتاب الجعرافيــه**، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر: بور سعيد.
- الطمار محمد بن عمرو، (د.ت).**تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عثماني كريمة، (2016م)**"حصن تاونت الأثري بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية"**، مجلة منبر التراث الأثري مجلة علمية محكمة تهتم بالبحوث والدراسات في مجال التراث الأثري، تصدر عن مخبر التراث الأثري وتثمينه-جامعة تلمسان، العدد الخامس، 209-228، الجزائر: دار كنوز لإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان.
- فكري أحمد، وزبيس مصطفى، (1949م). **آثار تونس الإسلامية ومصادر الفن الإسلامي بإفريقية وتونس وليبيا**، تقديم عمر سعيدان، ط2، تونس: مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، دار المعرفة، سوسة.
- فيلالي عبد العزيز، (2002م). **تلمسان في العهد الزياني**، الجزائر: موقم للنشر والتوزيع.
- كربخال مارمول، (1408هـ/1988-1989م). **إفريقــا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، د.ط، المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة.
- لعرج عبد العزيز، (1999م). **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار-جامعة الجزائر.
- المدني أحمد توفيق، (2007م). **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م**، ط1، الجزائر: دار البصائر حسين داي.

- المزاري الآغا بن عودة، (1990م). **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحيي بوعزيز، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي بيروت.
- ابن مرزوق محمد التلمساني، (1401هـ/1981م). **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، د.ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- الوزان حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي، (1983م). **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- Charton Edouard, (1875). **Tour Du Monde**, paris: Librairie Hachette Et G, lindre.
- Marçais. G., (1957). **Mélanges D'Histoire Et D'Archéologie De L'Occident Musulman**, T1, Alger: imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, trollier.

للإحالة على هذا المقال:

- بن عامر بكارة ، محمد بن حمو، (2022)، « **مراكز الحراسة بساحل مدينة تلمسان دراسة أثرية لبعض النماذج**» . **المواقف**، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص. ص 639- 661.